قراءة في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام لعبد الرحمن عزي –رؤية نظرية تحليلية –

A reading in the theory of value determinism on media by -Abd al-Rahman Azzi

سمية هادفي[1*]

جامعة سكيكدة، (الجزائر)، (rech.socio@gmail.com)

تاريخ الاستلام:2021/05/11 تاريخ القبول:2021/06/25 تاريخ النشر:2021/07/15

ملخص:

لقد بنى المفكر عبد الرحمن عزي نظرية الحتمية القيمية على قاعدة فكرية وأصول مرجعية تبناها منذ تكوينه الأول في مجال الإعلام الاتصال،حيث حاول الإلمام بالعديد من الرؤى الفكرية والتصورات المنهجية كأدوات بحثية في فهم البعد الإعلامي وتأثيره على المجتمع،الأمر الذي مكنه من طرح نموذج نظري ومنهجي متميز وكأسلوب جديد من التنظير ينم عن كيان فكري فسيفسائي ومركب من قراءات ذات روافد متعددة ومتنوعة،وهو ما أسهم في وضع مقولات خاصة بنظرية الحتمية القيمية والتي قدمت أدوات منهجية وجهاز مفاهيمي ،لاسيما مفهوم القيمة الذي أعطى توجها فكريا مختلفا ومغايرا عن بعض المنظرين السابقين،وهو الأمر الذي أعان البروفسور عزي إلى حد ما في استيعاب واستجلاء خلفيات وتجليات بعض الظواهر الاعلامية والبحث في العمق الخفي فيها وصولا إلى الظاهر الجلي منها،ثم الوقوف على العلاقات والروابط التي تدفع الفرد إلى تبني الموقف أو الاتجاه الذي يشكل سلوكه الإعلامي داخل المجتمع. ولعل الحتمية القيمية كنظرية نراها قد استخدمت أدواتها البحثية في تتبعها للمتغير المستقل (القيمة) في محتويات الرسالة الإعلامية لدى الجمهور من خلال التجليات الواقعية للمخرجات البحثية التي قدمتها ،وكذا الجهاز المفاهيمي الذي اعتمدته من حيث الدقة والوضوح في الصيرورات الذهنية والأطر العملية للنظرية.

الكلمات المفتاحية: النظرية الإعلامية، الحتمية القيمية، القيمة

Abstract: The thinker Abd al-Rahman Azzi built the theory of value determinism on an intellectual basis and reference assets that it adopted since its first formation in the field of communication media, as he tried to get acquainted with many intellectual visions and methodological perceptions as research tools in understanding the media dimension and its impact on society, which enabled him to present a theoretical and methodical model Distinctive and as a new method of theorizing that denotes a mosaic intellectual entity and a composite of readings with multiple and varied tributaries, which contributed to the development of statements related to the theory of value determinism, which provided methodological tools and a conceptual apparatus, especially the concept of value, which gave a different and different intellectual orientation from some previous theorists, which is This helped Professor Azzi to some extent in understanding and clarifying the backgrounds and manifestations of some media phenomena, searching in the hidden depth in them, up to the obvious ones, and then identifying the relationships and ties that push the individual to adopt the position or direction that shapes his media behavior within society. Perhaps value determinism as a theory that we see has used its research tools in tracking the independent variable (value) in the contents of the media message to the public through the realistic manifestations of the research outputs that it provided, as well as the conceptual apparatus that it adopted in terms of accuracy and clarity in the mental processes and practical frameworks of the theory.

[*] المؤلف المرسل

Keywords: Media theory, value determinism, value.

مقدمة:

لقد سارت الدراسات والأبحاث لدى المفكرين الغرب في مجال التنظير في حقل العلوم الاجتماعية بصفة عامة والنظرية الاتصالية على وجه التحديد في اتجاهات مختلفة، حيث قدمت المدارس الفكرية والنظرية الاجتماعية المبدعة والمنتجة للمعرفة مرجعيات خاصة أسست لمقولات فكرية ومرتكزات مفاهيمية مستوحاة من بيئة اجتماعية وثقافية خاصة، كل ذلك ساهم في تشكيل منظومة فكرية في مجال التنظير وبناء القواعد والأطر المعرفية عبر مراحل تاريخية طويلة من عمر البحث العلمي والبناء المعرفي في النظرية الاتصالية ،حيث استخدم العلماء أساليب منهجية تنظم دراساتهم وأبحاثهم، فجعلوا لذلك مداخل منهجية كبرى للإحاطة بالظاهرة الاتصالية ومعرفة محدداتها وفهمها في سياقها الاجتماعي.

على غرار النظريات الكبرى كالماركسية والوظيفية والبنائية والتفاعلية وغيرهم نجد نظرية الحتمية القيمية التي وضعت بعض الأطر التصورية لتفسير بعض الظواهر الاجتماعية والإعلامية والاقتصادية والثقافية ،حيث ظهرت الحتمية القيمية في حقل الإعلام والاتصال لصاحبها عبد الرحمن عزي المفكر الإعلامي الجزائري التي بدأت تتشكل مند عشرين سنة مع أول كتاب له "الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية بعض الأبعاد الحضارية" سنة 1985، ويقدم عبد الرحمن عزي نظريته على أساس أنها ليست بديلة عن بقية النظريات الكلاسيكية المعروفة المفسرة للظاهرة الإعلامية ،ولكنها استدراك معرفي له مرجعيته الخاصة، لتأتي هذه النظرية كمساهمة في مجال الأبحاث السوسيو- إعلامية وكنقد وثورة على المحاولات العربية السابقة التي اقتصرت على إسقاط النظريات الغربية على خصوصية واقع المجتمعات المحلية.

1-المشكلة البحثية:

يعتبر عبد الرحمن عزي واحد من المفكرين العرب الذين قدموا محاولات فردية في مجال التنظير والبحث العلمي في حقل علوم الإعلام والاتصال، حيث كان له السبق الفكري والمعرفي في تزويد التراث النظري في الأبحاث الإعلامية بنظرية علمية، سماها –نظرية الحتمية القيمة في الإعلام- وهي نظرية قيمية معيارية ذات عمق فلسفي اجتماعي تتميز بالصرامة المنهجية والعلمية، تأسست من خلال منظور معرفي قائم على التراكم والتوليف بين القراءات التأملية في التراث العربي من الاطلاع الواسع على النظريات الاتصالية والنظر في مخرجات المدارس الفكرية الغربية.

لقد قدم عبد الرحمان عزي نظريته القيمية مقابل نظرية الحتمية المادية أو التقنية، هذه الأخيرة التي تأسست في بيئة تتميز بخصوصيات ثقافية ، وفق منظور حداثي أفرط في تصوره التقني التكنولوجي الإلكتروني وفرط في القيمة والمعنى والرمز وما يقترب منهم من مفاهيم دالة بالدراسة والبحث ،مع التتبع لمراحل تطور النظرية القيمية، فهي نظرية لم تأت من فراغ ولم تؤسس بناء على رغبة مستعلية أو نظرة قاصرة أو طموح آني بل الأمر بخلاف ذلك فهي استدراك علمي ومعرفي ممنهج له خلفيته ومرجعيته الفكرية والإيديولوجية التي بنيت عليها هذه الأخيرة.

فجاءت هذه النظرية وفق منظور مؤسس تطور من خلال تكوين أكاديمي ومنهجي دقيق بعد الإلمام المستوعب للنظريات الاتصالية الحديثة، مند أن ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، من توسع متخصص وانخراط في دراسة مرجعية هذه النظرية وأعني بها مدارس النظريات الاجتماعية الغربية، من البنيوية إلى النقدية مرورا بالظاهراتية والتفاعلية الرمزية مع استنتاجات دقيقة وكلية لطروحات هذه المدارس الفكرية الغربية.

أضف إلى ذلك قراءات متأنية أفقيا وعموديا في التراث العربي والإسلامي وفي الفكر التراثي ونصوصه وذلك باستخدام أدوات منهجية مبتكرة أحيانا ومستعارة أحيانا أخرى، حتى يتسنى لصاحب النظري—عزي عبد الرحمان– تجاوز المقدمات النظرية والمحاكمات العقلية للوصول إلى جوهر الأفكار الإبداعية.

كل هذه الروافد مجتمعة أسست لنظرية فلسفية اجتماعية إعلامية جعلت القيمة المحور الذي يدور حوله المنظور والرؤية والانطلاق منهما للعودة إليهما في تفسير الظاهرة الإعلامية، مع جعل الرسالة المتغير الأساسي في الدراسة باعتبارها محتوى القيمة والرمز والمعنى.

وتنطلق نظرية الحتمية القيمية من أساس يعتبر الإعلام رسالة وأهم معيار في تقييم الرسالة أي القيمة التي تنبع أساسا من المعتقد والدين،هذه القيمة التي تدخل في تشكيل الثقافة الاجتماعية وأحد فواعلها الأساسية، وفي مستوى آخر من التحليل نجد عبد الرحمن عزي يقدم نظريته ذات جوهر فلسفي اجتماعي ويرى أن للقيمة أهمية وقدرة على تفسير الكثير من الظواهر والوقائع الاجتماعية ،من خلال تتبع عملية استخدام وسائل تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتداعيات استهلاك المادة الإعلامية بمحتواها ومضمونها الإيحائي الذي يستهدف نشر فكر معين أو قناعة وهو ما يؤثر على الفرد وعلاقاته بمحيطه ونسقه الاجتماعي، وهنا تتجلى المشكلة في هذا التأثير الإعلامي على المنظومة القيمية للجمهور المستهدف مما يؤدي إلى انتشار أفكار جديدة وقناعات بديلة، من شأنها أن تؤثر في صورة علاقات وأنشطة وأنماط سلوكية جديدة .

والقيمة كمتغير مستقل له تواجده ولعل هذا الذي لاحظه عبد الرحمن عزي مفقود أو ليس له اعتبار في جهود المنظرين الغربيين من أمثال مارشال ماكلوهان في الحتمية التكنولوجية أو المادية، وأن المتغير هو الوسيلة وأن المجتمعات في التاريخ تختلف باختلاف الوسيلة وهي التي تصنع الفارق بين المجتمعات البشرية ،الأمر الذي جعله يؤكد القول أن الوسيلة هي الرسالة، في حين يرى عبد الرحمن عزي خلاف ذلك وينتقد مارشال ماكلوهان حيث صاغ نظرية الحتمية القيمية وصرح بأنها معيارية توليفية تستوعب في آن واحد ثقافات وقيم محددة ، كل ذلك ينجم عن تأثير وسائل تكنولوجيا الإعلام على هذه المنظومة القيمية لدى الجمهور المستهلك للمادة الإعلامية.

ضمن هذا التصور العام للرؤية العزية حول نظرية الحتمية القيمية يمكننا تحديد بعض التساؤلات البحثية والتي جاءت انطلاقا من التساؤل الآتي:

– ما هي الأسس النظرية التي تقوم عليها الحتمية القيمية؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة أخرى وهي:

– ما هي الإضافة الجديدة التي أتت بها هذه النظرية؟

– هل استوفت الحتمية القيمية شروط بناء النظرية؟

– هل يمكن تطبيق هذه النظرية في البحث السوسيو–إعلامي؟

يعتمد البناء المنهجي للدراسة الراهنة على الطبيعة النظرية للموضوع التي تقوم على المفهوم النظري والأبعاد الأمبريقية للنظرية الحتمية القيمية في الإعلام لصاحبها عبد الرحمان عزي، فدراستنا دراسة نظرية تقوم على قراءة في مرجعية بناء نظرية الحتمية القيمية .

2-أهمية الدراسة:

تظهر لنا أهمية الدراسة في كونها مساهمة في قراءة نظرية حتمية القيمة ومعرفة أسس بنائها ومرجعيتها وخلفية فلسفتها ومدى مساهمتها في مجال التنظير والبناء المعرفي، انطلاقا من خصوصيتها التي تكلم عنها مؤسسها عبد الرحمان عزي، فهي استدراك معرفي له مرجعية خاصة ،لأن مجال التنظير في جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية خصوصا منذ عصر النهضة الأوروبية كان ولا يزال إلى يومنا حكرا على الدوائر الأكاديمية الغربية بكل مدارسها واتجاهاتها الماركسية أو الوظيفية...إلخ، وما حظ العرب والمسلمين إلا إسقاط هذه النظريات الغربية على الواقع المحلي في محاولة الاستفادة منها من أجل مقاربة الظواهر والوقائع الاجتماعية بغرض التشخيص والفهم والمعالجة النظرية و التطبيقية ، بمقاربتها وإسقاطها على البنى الاجتماعية، حيث قامت هذه المقاربة بالتركيز على مستويات التجريد من خلال الأفكار والمفاهيم بالإضافة إلى الحقائق المبرهنة المعززة بالأرقام والبيانات...إلخ، وكلها مستنبطة من بيئة النظرية لتحليل الظاهرة أيا كانت اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية...إلخ.

3-مبررات اختيار الموضوع:

أما دواعي اختيار الموضوع فنوجزها فيما يلي:

3-1المبررات الذاتية:

الاهتمام بالبحث النظري الذي يتصل بالقراءة في الأفكار وفلسفة العلوم، والبحث في التنظير الذي يشتغل على وضع مستويات التحليل والمعالجة.

3-2المبررات الموضوعية:

- تعتبر النظرية الحتمية القيمية لعبد الرحمان عزي مقاربة نظرية لفهم العديد من الظواهر السوسيو-إعلامية ،حيث أصبح لها حضور في تحليل ومقاربة أسباب التغير الاجتماعي والتنمية والتخلف وغيرها، اعتمادا على مركزية القيمة والواجب الأخلاقي، فحاولنا استجلاء رؤيتها وأسلوب تفسيرها للظواهر الإعلامية المعاصرة.

-الكشف عن المفاهيم الجديدة والأدوات المنهجية التي أضافها عبد الرحمن عزي في النظرية الاتصالية.

4-أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة الراهنة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- تحديد الأسس النظرية والمرجعيات الفكرية التي تقوم عليها الحتمية القيمية.

2-الكشف عن المتغيرات الأساسية التي تقوم عليها النظرية.

3-التأكد من استوفاء نظرية الحتمية القيمية شروط بناء التكامل والترابط المنهجي والأداتي وقدرتها على التفسير النظري والامبريقي لبعض الظواهر السوسيو-اعلامية.

5-مفاهيم أساسية:

الدراسة الراهنة تعالج مفهومين أساسيين الأول يتمثل في الحتمية القيمية والثاني يشمل مفهوم القيمة كمتغيرات بحثية ركز عليها الباحث وسنحاول الإلمام ببعض التعريفات ووضعها في سياقها البحثي .

5-1 مفهوم الحتمية:

الحتمية كمسلمة علمية يمكن أ نعرفها بأنها التأكد القائم أن ظاهرة ما، يحددها سبب ما أو سلسلة من الأسباب

اما الحتمية كمبدأ علمي فهي تنتج نفس الأسباب نفس النتائج وتحقق الظواهر تبعا لقوانين ضرورية،وهدف العلم سوى اكتشاف هذه القوانين.

والحتمية كنظرية أن نعرفها بصفتها مذهبا فلسفيا هي النظرية القائلة أن الصيرورة (التطور) الكلية للكون الخاضع لقوة قاسرة قهرية تنظم جميع الظواهر انتظاما كليا(عادل مختار الهواري، 1988،ص290)

يرى عبد الرحمان عزي بأن الحتمية "تعني عملية اعتماد متغير واحد من دون الأخرى في تفسير الظواهر، كأن يفسر تطور المجتمع على أساس الصناعة فقط، فتكون هذه الحتمية تكنولوجية، أو يفسر على أساس الحركة الاجتماعية فتكون هذه الحتمية اجتماعية، وهكذا .(عبد الرحمن عزي ،2003،ص107).

5-2تعريف النظرية الحتمية القيمية:

النظرية الحتمية القيمية هي نظرية طرحها البروفيسور الجزائري عبد الرحمان عزي، وتأسست هذه النظرية في مجال علوم الإعلام والاتصال، تتسم بالرؤية والصرامة العلمية، وتجعل هذه النظرية القيمة لمفهوم ديني وثقافي في مقاربة الظواهر الإعلامية والاجتماعية،وهي ترتبط بالنص القيمي والاجتماعي فضلا عن أنها تقتبس الأدوات بشكل واعي من الآخر بحكم أن العديد من نصوص التراث والواقع يتصف بغياب التحديد المولد للأدوات، وكونها حتمية أي جعل القيمة المتغير الأساسي والمستقل في تتبع تفسير الظواهر الاجتماعية والإعلامية.

5-3القيمة:

تعتبر القيمة أحد عناصر الثقافة في المجتمع، وتشكل جزءا مهما منها في مرحلة تاريخية معينة، وتعبر عن مرغوب فيه اجتماعيا، وتمثل بذلك المبادئ والأفكار والاختيارات التي تحمل المعاني اجتماعيا خلال تجربة الإنسان، لذلك تعتبر بمثابة موجهات بين ما يرغب فيه وما يفرضه من المرجعيات المثالية يعتقدون بها وتمثل في الوقت نفسه رموزا لتحقيق الذات التي تساعدهم في تحديد مواقعهم ومواقع الآخرين من تلك القدوة (مُحَمَّد السويدي،1991،ص72).

وأول من اهتم بدراسة القيمة الفلاسفة، الذين اختلفوا في الأساس الذي تقوم عليه وكان موضع أخذ ورد بين مدارس الفلسفة المختلفة كالأفلاطونية وغيرها ثم ظهرت النظرية الدينية للقيمة في المسيحية والإسلام، وكان لكل نظرته الخاصة للقيمة.

كما اهتم بمعاني القيمة دارسوا العلوم الأخرى كعلماء الاقتصاد وعلماء النفس وعلماء اللغة والأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع وغيرهم، مما أدى إلى ظهور نظرية القيمة التي تضافرت على ظهورها كل العلوم نظرا لصعوبة تحديد معنى القيمة وتعريفها تعريفا دقيقا.

ويرى بعض العلماء أن القيم تمثل الفكر الاعتقادي المتعلق بالفوائد التي تأتي تتضمنها الأشياء في المجتمع، وقد تمثل لفائدة صحة وعافية جسمية، أو ذكاء حادا أو لذة أو رخاء، وثراء ماديا، أو سمعة طيبة أو غير ذلك من المنافع الشخصية لكن يجب أخذ فكرة المنفعة في القيمة يتحفظ، وذلك لنسبيتها (ثريا التجاني،2011،ص55).

وتقول الباحثة الكويتية صبرينة علي عبد الرحيم: "القيم التي نعترف بها بوجه عام والتي تنتشر بين أفراد المجتمع بصورة واضحة، وصريحة والتي يمكن أن نتوقعها في أقوال من يتحدثون باسم المجتمع كالقادة أو المقالات الافتتاحية في الصحف والمجلات ورجال العلم في الجامعات، والوعاظ... ولكن ما المعنى الحديث عن القيم في هذا المستوى؟ إنها في الواقع توضح لنا بعض قيم المجتمع وخاصة ما يكون منها موضع مناقشة، إذن تتساءل الباحثة على تحديد القيم بمستويين معينين وتؤكد أن القيم المقصودة هي القيم التي تكون موضع مناقشة، ونحن نرى أن القيم موجودة على كل المستويات الاجتماعية من المستوى الأعلى إلى المستوى الأدنى حتى تلك المواضيع التي يرى البعض أنه لا ينبغي مناقشتها (نصير بوعلي، 2005، ص48)

وقد أوضحت الدراسات المختلفة التي أجريت حول القيم، أنها دافع للسلوك في مختلف الميادين وليس في بعض مواقف الحياة اليومية فقط، فالشيء الذي يكون نافعا أو مفيدا لشخص ما قد يكون ضارا بغيره، لذلك لأن فائدة الشيء لا تكون لذاته فقط، بل تكون كذلك لحاجة في نفس الشخص.

ويلاحظ أن دراسة القيمة قد خرجت من نطاق الفكر الفلسفي وتعدته إلى ميادين أخرى وأصبحت القيمة من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية، لتمس كافة صور العلاقات الإنسانية لأنها ضرورة اجتماعية تمثل معايير وأهداف نجدها في كل مجتمع منظم سواء كان متخلفا أو متقدما، تتغلل داخل الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات، وتنعكس في السلوك الظاهري والباطني.

وقد تعددت واختلفت تعريفات القيمة حسب كل ميدان وكل تيار علمي، لذلك سنتعرض للتعريف الفلسفي، فالديني فالاجتماعي.

5-4 التعريف الفلسفي للقيمة:

عرف الفلاسفة القيمة من منظورين، يتمثلان في المنظور الذاتي والمنظور الموضوعي فجاء التعريف كالآتي: تعني القيمة تلك الصيغة التي يتصف بها موجود ما –سواء كان شخصا أو شيئا– إذا كان موجودا بالفعل مرادا أو مرغوبا أو مقدار من إنسان أو جماعة معينة من الناس، أي إذا كان معترفا به بوصفه هدفا لرغبة المرء الخاصة أو لرغبة أجنبية، فالقيمة هنا تعني درجة التقدير أو الرغبة لموجود ما.

أما وجهة النظر الموضوعية: القيمة هي ما في الموجود نفسه –سواء كان شخصا أو شيئا– من سبب لتقديره له ما يبرره.

فالقيمة أذن هذا الذي يجعل من الممكن أن يصبح الموجود هدفا لإرادة صحيحة وليست فقط لرغبة فعلية(مُحَمَّد حمدي زفزوف، 1993،ص136).

يبرر لنا هذا التعريف الفلسفي أنها تمثل الرغبة الفعلية في شيء معين مهما كان حتى دون أن تكون ففيه فائدة للفرد أو الجماعة التي ترغب في الوصول إليه، وهذه الرغبة ذاتية بهدف الحصول على ذلك الشيء بالرغم

من ضرره للراغب فيه. أما من الناحية الموضوعية فتمثل القيمة ذلك السبب الموجود في جوهر الشيء المرغوب الذي يجعل الناس يتسابقون للحصول عليه أو يتفانون في تقديره وتبجيله.

هذا ما قدمه بعض الفلاسفة الذين قاموا بتعريف القيمة إلا أن هناك بعض الفلاسفة الذين رفضوا تعريف القيمة، وقالوا نحن لسنا في حاجة إلى تعريف للقيمة، أمثال ماكس شيلر (Maxcheler) الذي يرى ذلك بأن القيم موضوع يعرفه الإنسان مباشرة دون حاجة إلى وسيط يعرفه به، فقيمة الشجاعة يستخلصها الإنسان من رؤيته لحالات ظاهرة ومحسوسة مثل الجندي الذي يسعى إلى ميدان الحرب ليدافع عن وطنه، وهذا المعنى المجرد من كل ملابسات المكان والزمان يعني قيمة الشجاعة التي انبثقت عنها قيم أخرى كالتضحية والوطنية والجهاد وغيرها.

5-5التعريف الديني للقيمة:

برز مصطلح القيمة في الإسلام أنها مجموعة من الصفات والسمات التي حث عليها القرآن الكريم والسنة النبوية والتي تحدد شخصية المسلم وفق منهج متكامل وتنظيم سلوكه وعلاقته بالله والكون ومجتمعه وبنفسه وتعمل كمعايير أو أطر مرجعية موجهة للسلوك ضابطة له(طارق عبد الرؤوف، إيهاب عيسى المصري، 2015، ص11).

5-6التعريف السوسيولوجي للقيمة:

تنظر مدارس علم الاجتماع نظرات مختلفة تبعا لاختلاف الأسس التي تقوم عليها تلك المدارس، غير أنها تتفق عموما على أن القيم حقائق تعبر عن التركيب الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات.(يحي سليمان قسام، 1999،ص83)

يوضح لنا هذا التعريف أن القيمة واقع اجتماعي موجود لا يمكن إنكاره أو التغاضي عنه، لأنه يمثل أحد معايير السلوك الاجتماعي.

يعرف (جابلن) القيمة بأنها "غاية أو هدف اجتماعي يكون تحصيله مرغوبا فيه ويربط هذا الباحث القيم بالهدف الذي يسعى الفرد إلى تحقيقه في المجتمع، وبذلك تعطي القيمة أهمية اجتماعية كبيرة بقدر أهمية الأهداف التي يسعى الأفراد إلى تحقيقها في الحياة الاجتماعية.(فوزية ذياب ،1980،ص21)

وعرّفها باحث آخر بأنها "مجموعة مبادئ أو ضوابط سلوكية وأخلاقية تحدد تصرفات الأفراد والجماعات ضمن مسارات معينة، إذ تصب في قالب ينسجم مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع، لذا فالقيم الاجتماعية إنما هي نوع من المعايير السلوكية والأخلاقية التي تربط بمعايير أخرى يحددها الإطار العام للمجتمع والمرحلة الحضارية التاريخية التي يمر بها والظروف الموضوعية والذاتية المحيطة به والمؤثرة في ظواهره وعملياته الاجتماعية(إحسان مُحَمَّد الحسن،1990،ص89).

ويقول الكاتب حليم بركات في هذا الصدد تعريف القيم بأنها المعتقدات حول الأمور والغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس توجه مشاعرهم وتفكيرهم وموافقهم وتصرفاتهم واختياراتهم وتنظم علاقاتهم بالواقع والمؤسسات والآخرين وأنفسهم والمكان ومواقعهم تحدد هويتهم ومعنى وجودهم بكلام بسيط ومختصر، وتتصل القيم بنوعية السلوك المفضل وبمعنى لوجوده وغاياته(حليم بركات ،1985،ص324).

نفهم على ضوء التعريفات السابقة أن للقيمة معاني متعددة تمكن في الأهداف وأشكال السلوك المفضلة لدى أفراد المجتمع وهي معتقدات توجه سلوكهم وتصرفاتهم ، وتعمل على تنظيم علاقاتهم على كل المستويات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وغيرها، وتعمل على تحديد واقعهم وماهية وجودهم على أساس ماضيهم لذي سيحدد بعض ملامح مستقبلهم.

كما أنها لا تقتصر على ميدان معين بل هي موجودة في جميع مجالات الحياة بجانبيها المادي والمعنوي ،مما يجعل التدقيق في حصر مفهومها ، أمر صعب المنال ،"فالقيمة حسب رأينا واقع اجتماعي يتضمن جوانب مادية وأخرى معنوية يوجه السلوك تبعا للثقافة السائدة في ا المنظومة الاجتماعية وتبعا لميول واتجاهات الأفراد والجماعات، كما قد يتغير مدلول القيمة من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى حتى في المجتمع نفسه .

وتتميز القيمة في رأينا بالطابع الإيجابي دائما، ولا نعتبر الشيء الذي يتميز بالسلبية قيمة، ومن يتخذ الشيء السلبي بالنسبة لفرد أو جماعة أخرى كقيمة يقدرها، فهو إيجابي بالنسبة له، ولا نشاطر من يقول قيمة غير مرغوب فيها في المجتمع لأنها بالنسبة لنا آفة أو أي شيء آخر غير القيمة، يعني يصبح مفهومه مناقضا للقيمة في اعتقادنا.

6-منهجية البحث:

يعتمد البناء المنهجي للدراسة الراهنة على الطبيعة النظرية للموضوع التي تقوم على المفهوم النظري والأبعاد الأمبريقية للنظرية الحتمية القيمية في الإعلام لصاحبها عبد الرحمان عزي، فدراستنا دراسة نظرية تقوم على قراءة في مرجعية بناء نظرية الحتمية القيمية .

اعتمدنا في تحليلنا لنظرية الحتمية القيمية على الأسلوب الكيفي الذي ناقشنا من خلاله بعض القضايا و الأفكار التي أثارتها النظرية فكانت المنهجية المتبعة في الدراسة الراهنة تعتمد على مستويات تفسيرية في إطار الوحدة التحليلية للنظرية والتي حددت كالآتي:

-قراءة في نصوص المرجعية الفكرية لنظرية الحتمية وهي نظريات اجتماعية غربية تأثر بها الأستاذ عزي ، وهي نظرية النقدية الظاهرتية الاجتماعية ثم البنيوية والتفاعلية الرمزية، والتصور الذي شكله فيما بعد من خلال ما استلهمه من هذه النظريات ثم قراءة في إسهامات بعض الشخصيات الفكرية وهما ابن خلدون ومالك بن نبي مع معاينة الأفكار التي استنبطها عزي منهما في تدعيم نظريته.

-النظر إلى منهجية المفكر عبد الرحمان عزي في اشتقاقاته المباشرة أو غير المباشرة نتتبع ،تحتم علينا انتهاج أسلوب تتبعي من خلال تطويره لبعض التي صاغها في بناء نظريته اعتمادا على مرجعيته.

-مستويات التحليل في منظومة أو في إطار تصوري لهذه النظرية ومدى انسجام بناء هذه المستويات مع الوحدة التحليلية التي تعد بؤرة اهتمامه وهي القيمة أو مضمون القيمة.

وفي الأخير تم استنتاج أهم المستخلصات الفكرية والموقف النظري العام الذي شكلته النظرية في إطار حقل البحوث السوسيو -إعلامية بطرح الأفكار المقابلة مع الإشارة إلى المؤشرات الدالة على ذلك.

7-المنطلقات الفكرية الأولى:

من خلال ما تقدم من الإشارة إلى ترجمة البروفيسور عزي فيما يتصل بالبعد الجغرافي وترسباته في اللاشعور، وتأثير ثقافة البيئة الأولى أمر مسلم به تؤكده الدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية بأن الإنسان ابن بيئته، وإن كان هذا الأمر نسبيا بحكم قوة وتأثير مدركاته العلمية والمعرفية، وكذا السياق التاريخي الذي وجد فيه من حيث تشبعه بروح الرفض والتحدي وإقرار تحقيق الذات ورفض القهر والهيمنة وجبروت الآخر الذي كان يمثله في أبشع صورة الكيان المستعمر، وقد عاش البروفيسور تحت ظله طيلة ثماني سنوات الأولى من حياته، أضف إلى تشبعه بتعاليم الإسلام وقيمه كلها عوامل مساعدة لتفسير المدخل الفكري والقيمي الذي اعتمده في فهم المنطلقات الفكرية الأولى التي وضعت أطر للنظرية ، دون أن ننسى تأثير الأبعاد السوسيو- تاريخية والجغرافية والنفسية والشخصية التي كانت سببا في ظهور الإرهاصات الأولى للنظرية في تفاعلها مع الروافد الفكرية الأخرى وقد شملت تلك العوامل ما يلي:

7-1-التشبع بالإسلام وثقافاته:

يعد هذا العامل مؤثر بقوة كبيرة جدا بالنظر إلى طبيعة البيئة الاجتماعية المحافظة التي وفرت جو من التمركز حول الذات الثقافية المتشبعة بالإسلام عقيدة وشريعة وثقافة وتصورا للحياة والأسلوب والتعامل مع الآخر، وهذا الذي شب عليه البروفيسور عبد الرحمن عزي مع حفظه للقرآن الذي صاغ منه مرجعيته الفكرية، حيث تم اختياره لتخصص علمي بعد ذلك في الجامعة –الإعلام والاتصال- تقاطعت فيه جملة من العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ويصرح عزي أن المنهجية-القيمية- إن صح هذا التعبير لا تبحث في قيم جديدة ولكن في تجديد أو إحياء تلك القيم الثابتة الإيمانية في واقع الممارسة الاجتماعية الإعلامية، أي الفعالية الاجتماعية على حد قول بن نبي، وبتعبير آخر فإن تلك المنهجية تسعى إلى تغيير الواقع من خلال مغايرته، فكل شيء على حد قول النورسي يبدأ من الله وينتهي إليه(عبد الرحمن عزي،1995،ص44)

7-2-الحاضنة الاجتماعية المتميزة:

لقد ساهمت البيئة الاجتماعية التي نشأ بها وترعرع فيها المفكر عبد الرحمن عزي في تكوينه الروحي والنفسي ما جعل فيه ولاء لا شعوري حدد اختياراته المستقبلية فيما بعد، فمنطقته المحافظة جدا صنعت من قبله رجالا من أمثال الورتلاني، والذي نهل من شخصيته كثيرا وفي هذا يقول عبد الرحمن عزي: "فدراستي الأخيرة أصبحت تنهل من شخصيات ثقيلة مثل الغزالي (أبي حامد) وابن القيم والنورسي (بديع الزمان) والورتلاني، إذ وجدت في نصوصهم منهجية معرفية صارمة، إضافة إلى تلك الأبعاد الفلسفية الصوفية التي لا تحضر قيد الآخرين بهذا الشكل".(عبد الرحمن عزي،1995،ص50)

فهي إذن بيئة اجتماعية بخصوصية ثقافية متميزة جدا فيها الاشتغال بتحفيظ القرآن الكريم والسنة الصحيحة ولها من الأبناء ممن تبحروا في العلم والمعرفة ومن خصوصيتها أيضا ورفضها للاستعمار الفرنسي، فحاربته بكل الوسائل وامتنعت عن الاندماج الطوعي أو الإجباري للثقافة الفرنسية الأوروبية.

في هذه البيئة المتميزة سوسيو ثقافيا، زاول عبد الرحمن عزي تعلمه الأول وتحددت جيناته الثقافية والفكرية، وفي هذا السياق يقول عزي: "والحاصل أن كل باحث متأثر (عن وعي او غير وعي) بخلفيته وتجربته ومجموعة من المؤثرات الثقافية المتعددة كالمكان والزمان.

7-3- قراءاته العميقة في التراث الإسلامي:

لقد ذكر المفكر الإعلامي عبد الرحمن عزي في أكثر من مناسبة سواء كان ذلك في كتبه أو مقالاته العلمية أو في العديد من الندوات العلمية والمحاضرات تشبعه بقراءاته للتراث الإسلامي وما قرأه لأبي حامد الغزالي وابن القيم وابن خلدون وابن طفيل والنورسي والفضيل الورتلاني وغيرهم، وما وجد في نصوصهم من صرامة علمية ومنهجية، هذا الذي دفع بالمفكر عزي إلى قراءة واعية في كل الأبعاد اللغوية والدلالية والمعنوية وفي مستويات مختلفة، فخرج بذلك بزخم معرفي ثقيل ما جعله يقف على حقيقة مفادها –بحسبه- أن التراث العربي الإسلامي غني بالمقدمات النظرية، فيقول المفكر عبد الرحمن عزي في هذا السياق" وقد بدا لي أن هذا النبش يفيد فقط على المستوى المنهجي، أي كيف قارب أساتذتنا القدماء في الفلسفة والمنطق والعمران القضايا المطروحة في أزمانهم، أما تلك القضايا بالذات فلم تعد مهمة الآن والحاصل أن إسهامات هؤلاء في نظرية الاتصال على النحو الذي ظهرت في المجتمع المعاصر غير واضحة أو مدفونة في جملة المواضيع التي شغلت بالهم في تلك الفترة، ورغم ذلك فقد وجدت في مناهجهم هما تراثيا ثقافيا أساسيا هو السند الأساسي في تطوير نظريتنا للاتصال".(عبد الرحمن عزي،1995،ص88)

فقراءته للتراث العربي الإسلامي الواسع جعله يكتسب معجم لغوي واسع الألفاظ والمصطلحات الأمر الذي مكنه فيما بعد من بناء مركب مفاهيمي ساعده في بناء مقولات نظريته.

ويظهر هذا في الاشتقاقات والاستنباطات اللغوية على امتداد المفاهيم الكثيرة التي بناها، والتي هي ضرورية جدا في إحداث القطيعة للتميز الضروري في كيان النظرة الجديدة للحتمية القيمية في الإعلام.

8- مدخل إلى نظرية الحتمية القيمية:

إن القراءة الواسعة للتراث العربي الإسلامي التي دأب عليها المفكر عزي مكنته من رصيد معرفي زاخر وبمادة دسمة تعد غنية بمقدمات نظرية واسعة أو محاكمات عقلية ثاقبة، وعند هذه النقطة تحديدا يقول عزي: "فقد أردت التخلص من ثقل –الوعي بالمشكلة- والتحول إلى مجال دراسة ظاهرة-الظاهرة الاتصالية- كما تبدو بعيدا عن بعض القيود المرتبطة بالنصوص القبلية السائدة في مجال الاتصال أو تلك المرتبطة بالشك في التغير الغربي في هذه المرحلة.

والظاهر في هذه المرحلة من البدايات الأولى للتأسيس للنظرية كان المفكر عزي يعيش حالة من القلق الذكي ،ولا زال يعيش إلى اليوم شيئا منه ويكمن هذا القلق في كيفية إيجاد واستخدام أدوات منهجية ذات الخصوصية البحثية، كون العلم نظرية ومنهج متبع للوصول إلى حقائق وقد ذكر هذا بالقول: وقد دخلت إلى مجال "التنظير في الاتصال" متأثرا ببعض الأدوات المنهجية الغربية، وقد يبدو ذلك من المفارقات للوهلة الأولى لكن الأمر يبدو عاديا أو إذا اعتبرنا أن المنهجية تولد أداوت أو طريقة عقلانية أو واقعية في الوصول إلى مجموعة من الحقائق النسبية فالأدوات تملك مجالا مستقلا أي محايدا نسبيا.

فلم يجد بدا من الاتجاه والعودة إلى مرجعية النظرية الاجتماعية الغربية للنهل منها فيقول: "وهكذا عدت إلى المرجعية النظرية الاجتماعية الغربية الحديثة قصد دراستها وفهمها من الداخل كلما كان ذلك ممكنا في محاولة استيعاب ظاهرة الاتصال بمختلف تجلياتها.(عبد الرحمن عزي،2009،ص55)

لقد حفزته أدوات المنهجية النظرية الاجتماعية الغربية وفتحت له آفاق النظر والقراءة وأقام حفرياته الفكرية والمفاهيمية على مستوى التراث، ونجد ذلك في قوله: "وقد مكنتني تلك الأدوات من أن النظر إلى الذات والثقافة من زاوية خارجية وكأنني أكتشف هذه الذات والثقافة من جديد ... فكان ذلك حافزا أساسيا في النبش في التراث، فكتبت عن النظرية الاجتماعية الغربية الحديثة وابن خلدون، كما استوقفتني إسهامات مالك بن نبي في دراسة المشكلة الحضارية.(عبد الرحمن عزي، 2008، ص80)

لعل المفكر عزي كان يعاني بشدة بالغة من انعدام المنهج وامتلاك أدوات تعيينه في مسألة التنظير ، مما دفع به إلى استخدام أدوات و مناهج أخرى رغم ارتباط تلك المناهج بأصول ومرجعيات فكرية متعددة فنجده يبرر ذلك ويستدرك فيقول: وقد انجذبت إلى أداوت تلك المناهج رغم ارتباط تلك المناهج كما ذكرت بأصول فكرية متعددة إلا أنني لم أكن أتحرك من داخلها بل من خارجها، أي أنني كنت متعلما ودارسا للمجال انطلاقا هذه المرة من مرجعية ثقافية متميزة أخرى، وبمعنى آخر قرأتها –مستغربا– في المقابل مستشرقا إن صح هذا التعبير، وفي ذلك بعض النقص وسوء الفهم وقليل من التشويه إن ورد ذلك، وكانت البداية الفعلية في تطوير هذه النظرية"(عبد الرحمن عزي وآخرون ،2008،ص44)

الظاهر أن أي نظرية حتى تفهم جيدا وبشكل دقيق ينبغي أن توضع وتقرأ في سياق النظريات الأخرى، ومقابلتها معهم ومقارنتها بهم، ولعل هذا الطرح ينسحب على نظرية الحتمية القيمية حتى نفهم جيدا فنرى الابتعاد عنها بالبحث في مرجعيتها المنهجية والأدواتية وذلك بغية الاقتراب منها أكثر واستبعاد فلسفتها من الداخل ،وهنا نبحث في أكبر المدارس المؤسسة للنظرية الاجتماعية الغربية التي اقترب منها المفكر عبد الرحمن عزي ،واحتك مباشرة مع أتباع العديد من النظريات وذلك في أثناء إقامته بأمريكا لمدة قاربت ثماني (8) سنوات فيقول: والواقع أنني اعتبر أن البنية النظرية الاجتماعية أفضل ما توصلت إليه المعرفة النظرية الغربية في دراسة الاتصال بشتى أبعاده ولا يعني ذلك أن هذه البنية كافية أو تمثل مخرجا حقيقيا، بل أنها في نظري إطارا نظريا ومنهجيا ناقصا ومحدودا رغم إسهاماته وسيادته النسبية في المعرفة النظرية الغربية المعاصرة.(عبد الرحمن عزي،2003،ص50)

فالمفكر عبد الرحمن عزي هو كذلك عمل على أن يزاوج بين الخلفية الفكرية والفلسفية والواقع الحضاري الذي ينتمي إليه، وبين استفادته الذكية من التطور النوعي في مجال التنظير الاجتماعي الذي عاصره و هو منطلق استخدمته الدوائر الأكاديمية الغربية.

ومن هنا نرى أنه من الضروري الاقتراب من هذه المدارس النظرية الاجتماعية الغربية لمعرفة أسسها ومنطلقاتها وتصوراتها، وإن كنا قد ابتعدنا عن الحتمية القيمية، لكن في الحقيقة لنقترب منها من خلال مقابلتها ومقارنتها ومقاربتها لواقع الظاهرة الاتصالية.

و مما سبق يبدو لنا جليا،أن الباحث استلهم اشتقاقاته النظرية عن مدارس اجتماعية غربية كثيرة وكذا الفكر الخلدوني ومدرسة مالك بن نبي ،كل ذلك ساعد عبد الرحمن عزي في إنتاج أنموذج فكري ساهم في بناء وتطوير

نظرية الحتمية القيمية، وفيما يلي سنعرض بايجاز بعض المقاربات النظرية التي شكلها في ضوء دراسته للتراث النظري الغربي والعربي:

8-1الظاهرتية الاجتماعية:

ذكر البروفيسور عزي سبعة وعشرين مفهوما من شروحات وتعريفات من اجتهاده الشخصي وذلك من مراجعته لأدبيات الظاهرتية الاجتماعية:

-الإدراك القبلي: التأويل العفوي كإدراك حسي من حيث التجربة الماضية والمعرفة المكتسبة مسبقا عن الشيء المدرك.

-التقديم الماورائي: تجربة حالية تشير إلى تجربة أخرى معطاة في الإدراك، مثال ذلك عند إدراك شيء نضيف إلى صورتنا الذهنية عنه وبصفة آنية الجوانب التي هي ليست في مجال إدراكنا كاللون والشكل الذي خلف الشيء.

-الموقف: الوضع العام المتخذ اتجاه نطاقات واسعة من الحياة والاهتمامات بما في ذلك الأسلوب الخاص من التفكير، مثال ذلك الموقف العام الاعتيادي، الموقف العلمي، ...إلخ.

-التطويق: أداة منهجية في البحث الظاهرتي وتتمثل في جهد مقصود يضع جانبا كل الأحكام الوجودية حول "طبيعة" و"ماهية" الأشياء والأحداث ومن ثم فإن حقيقة هذه الأشياء والأحداث لا يتم إنكارها ولكن توضع "بين قوسين" ،وهذا الإجراء يجعل الصيرورات الذهنية في التجربة الموضوع المركزي في الظاهرتية.

وغيرها من المفاهيم التي تتبناها الظاهرتية الاجتماعية في مقاربتها مثل: الأسلوب التأملي والشك، والمقاربة الماهيتية والفكرة، والمرحلة وعالم الحياة أو عالم الحياة اليومية، والمعنى والموقف الطبيعي، والموضوع والصيرورة، والموضوعية، والتقليص الظاهرتي، والتجربة المسندة، والترسب، وتوجه الـ "نحن"، والفهم، والعالم والتجربة، والأفق، والقصدية، والذاتية المتبادلة والمعرفة مشروع الحياة.

8-2البنيوية:

لا شك أن المفكر عبد الرحمان عزي اجتهد وأجهد نفسه طويلا سعيا منه في محاولة استيعاب وتتبع أفكار فلسفة المدرسة البنيوية (فرويد) والماركسية (ماركس) والألسنية أو اللسانية (دوسوسير) ومؤشر صعوبة المزج بين هذا الخليط بين أفكار هذه النظريات والمدارس، ظهر في كثير التعريفات وكثرة المفاهيم أو صعوبة التفريق بين هذه التعريفات وكل مفكر ينزع إلى تعريف يغلب على تصوره ومؤشر معين لعلها مستويات فكرية متقدمة جدا في الذكاء والدهاء والنبوغ، ولكن نحن في علم موضوعي إمبريقي محوره الفاعل الاجتماعي وتجليات سلوكه الاجتماعي ، لهذا وجدنا الأستاذ عزي أخذ بعض من مميزات البنيويين في فيوضاته الفكرية ومحاكماته العقلية، شيئا من الجرأة وروح الاقتحام في أسلوبه الفكري نادرا ما نراه عند المفكرين العرب في تدوير بعض القضايا الفكرية الاجتماعية وقد يكون لذلك فوائد وقد يكون عليه مآخذ، وفوائد ذلك الاقتحام وتلك الجرأة العلمية في تتبع دراسة الظاهرة مهما كان نوعها طمعا في فهمها واستيعابها وتفسيرها لإدراك الحقيقة وليس الحق، كما يقول هو ذاته في موضع آخر.

فالحقيقة نسبية والخطوط تتفاوت بين الباحثين في الاقتراب منها، ومن فوائد تلك الجرأة العلمية الواجبة في حق الباحث الذي لا يتوقف عند الظاهر والجلي ،بل عليه بالسؤال والتساؤل غير الوديع المألوف ، فقد اغتنم عزي من مشارب البنيوية بالظاهرة في عمقها وذاتها ونفسها ،ثم ترصد وتتبع ما يصدر ويبدر منها ثم البحث في آثارها ومحيطها.

كمن يرى الباحث انه من المآخذ التي يمكن ذكرها هو الإسقاطات العليلة واعتماد الأدلة المنهجية في غير سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي، مع ما قد يبهر من نجاعتها (الأداة) في بيئتها الأم. لأن النظرية بكل كياناتها المكونة لها هي إطار تصوري تستلهم من بيئتها ومحيطها.

8-3 التفاعلية الرمزية:

وقد استلهم البروفيسور عزي من فلسفة التفاعلية الرمزية، وقد اشتغل على أركان هيكل هذه النظرية والمتمثلة في الرمز والذات والمجتمع حيث نجد هذه المفاهيم بقوة، عندما نسج على منوالها بعض مفاهيم الحتمية القيمية لتفسير مقاربته لبعض الظواهر الاجتماعية أو الإعلامية.

لقد وقف عزي عند مفهوم الرمز في مؤسسة اللغة أو الاتصال وقام باستنباطات عقلية وبناء بعض المفاهيم وتطويرها وتطويعها، وفق السياق الدلالي الذي اعتمده في مركزية القيمة ومعانيها ودلالاتها كمقاربة في تفسير بعض الأفعال والسلوكات الناتجة عن الذات الفاعلية، وكذا من خلال عمليات الربط بين المواقف والمبادئ المعتمدة وكذا الاعتبارات القائمة في تحديد الاتجاهات عند الجمهور أو المجتمع.

إن مفهوم الرمز الذي أتت به التفاعلية الرمزية والذي يعني مجموعة الإشارات المصطنعة والمؤسسة اجتماعيا التي يستخدمها فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل والتفاهم وهي سمة وحالة خاصة بالإنسان ،وتشمل عند جورج ميد اللغة وعند بلومر المعاني وعند كوفمان الانطباعات والصور الذهنية، كلها أدوات منهجية وظفها الأستاذ عزي في بناء الإطار التصوري الجديد الخاص بنظرية الحتمية القيمية، وهي التي رأى أنها مناسبة وقادرة عل تخطي وتجاوز المقدمات النظرية التي توقف عندها مطولا حتى أدرك هذه الأدوات المنهجية.(عبد الرحمن عزي ،نصير بوعلي،2010،ص80)

8-4المدرسة النقدية مدرسة فرانكفورت:

استفاد –عزي عبد الرحمان– من جهود المدرسة النقدية بما اصطلحوا عليه –نقد المجتمع التقني المعاصر– فأقام المفكر عزي تصورا في محاورة الظاهرة الإعلامية وتحليل مكنوناتها الداخلية ومقاربة الآلة بالمفهوم والمادة بالمعنى ما خلص إليه عزي كان في اتجاه معاكس لتصور مارشال ماكلوهان في طرح التقنية أو الآلية محور المعالجة وانعكاس التقنيات والتكنولوجيا وتأثيرها في بناء الأفكار وتصنيع الثقافة وأن معنى ينبثق من الوسيلة وهذا يفسر تاريخيا.

8-5الفكر الخلدوني:

إن قراءة عزي لفكر ابن خلدون أكسبته إضافات ووسع أفقه الفكري وأثرت مداركه العقلية يقول عزي في هذا الشأن المنظور الخلدوني يمكن القول أن محاولات طرح المنظار الخلدوني يدخل في إطار محاولة إيجاد نموذج يتماشى مع واقع المجتمعات العربية .

إن الأستاذ عزي يلتمس من خلال المنظار الخلدوني إمكانية بناء نموذج نظري –إمبريقي– يمكن من تعميق معرفة بنية المجتمع العربي ومقاربته بنظرية محلية، تتبع وتلاحق التغيرات في التشكيلات الاجتماعية وكذا التغيرات التي تحدث في القيم والمفاهيم السائدة في المجتمع...إلخ ومن ثمة تحليلها وتفسيرها.

8-6تأثره بأفكار مالك بن نبي:

ولعل هناك جملة من الأسباب والدوافع كانت وراء تأثر الأستاذ عزي بالمفكر مالك بن نبي ومن أهمها:

-التجاور الزماني: وهو التواجد في وقت واحد ولعل الأول (مالك بن نبي) كان في أواخر مراحل حياته وبشهرته التي بلغت الآفاق، والثاني (عزي) كان في مرحلة شبابه الأول وصبوة الشباب المتطلع إلى العلم والمعرفة وإلى النماذج المتعالي فكان هذا إلى حد ما قد تشكل في شخصية وفكر مالك بن نبي.

-التجاور المكاني: الانتماء إلى منطقة واحدة جعل الكثير من نقاط التقاطع بين الشخصيتين في الطبيعة الاجتماعية والمجتمع المحلي عموما والتنشئة الاجتماعية.

-التكوين الثقافي: حتى وإن كان الأول (بن نبي) ينتمي إلى جيل والثاني (عزي) ينتمي إلى جيل، فإن المركب الثقافي والحضاري نقطة التقائهما، وهما يستقيان من معين واحد ومرجعية واحدة تتمثل أساس في الدين ومجموع العادات والتقاليد والأعراف التي تصدر من عقيدة دينية وفطرة إنسانية سليمة.

لقد اقترب كثيرا المفكر عبد الرحمان عزي في محاكماته العقلية عند دراساته الأكاديمية في ما يتصل بتفسير ومقاربة الظواهر الاجتماعية والإعلامية، اقترب من أسلوب مالك بن نبي في تدويره ونظره لمشكلات الحضارة وبواعث النهضة وامتداداتهما من مشكلة التنمية والتخلف...إلخ ، وهذا الاقتراب ولا أقول التقارب لأن الأول يكون من طرف واحد أما الثاني فيكون من الطرفين، والحاصل أن المفكر عزي نراه قد استلهم من مالك بن نبي بعض الأدوات وشيئا من الأسلوب في الاستنباط والاشتقاق وكثيرا ما يستدل ويستشهد بأقوال مالك بن نبي ،عندما يريد أن يدعم طرحه ففي سؤال يوجهه له (عزي): متى ستحظى النظرية (الحتمية القيمية) باهتمام المحيط الأكاديمي الإعلامي بالمنطقة وخارجها وبأي قيمة؟ يرى البروفيسور وهو يجيب بما قاله مالك بن نبي: "أننا لو قارنا بين الإنسان المولود في محور طانجا-جاكرتا والآخر المولود في محور واشنطن-موسكو فإننا نجد إمكانية النجاح في مجالات الحياة المتعددة محدودة في الحالة الأولى وكبيرة في الحالة الثانية، وذلك بفعل تباين البيئة إحداهما تهمش الفرد وتبقي عليه بوصفه أداة راكدة والأخرى تحتضن الفرد وتنمي إبداعاته".(عبد الرحمن عزي،2003،ص90)

وفي معرض شرحه للنظرية الحتمية القيمية وتوضيح إطارها التصوري أكثر يقول عبد الرحمان عزي: "فبتعبير نظرية الحتمية القيمية في الإعلام يجعلها جزءا من اللغة الأكاديمية العلمية وهي ليست محلية، وإذ ترى أن القيمة هي المحرك في التطور الحضاري لأي مجتمع يضاف إلى ذلك الاستخدام اللفظي غير المباشر في الإشارة إلى القيمة، يترك بعض المجال للخطأ المحتمل والذي ينسب في هذه الحالة إلى النظرية وليس إلى مصدر النظرية"(عبد الرحمن عزي، 2003، ص66)

.(هذا الكلام جاء في رده عن سؤال، إن كانت هذه النظرية القيمية تدخل في إطار الإعلام الإسلامي فينفي ذلك البروفيسور عزي).

ولهذا لا يمكن اعتبار أو تصور أن المفكر عزي امتداد للمفكر مالك بن نبي من حيث نمط التفكير وأسلوب التصور المشكلات وأدوات المقاربات وإجراءات البحث والدراسة، ففي الوقت الذي نجد فيه مالك بن نبي يتجه إلى القضايا مجل الدراسة والبحث بفكر عام لا يكاد يلتزم بمقاربة نظرية بتصور المشكلة المدروسة في إطارها، نجد في المقابل من ذلك أن عزي عبد الرحمان يلتزم التخصص وبمنهجية صارمة تحكمها أدوات وتقنيات بحثية، تحدد إطار النظرية التي يقارب بها المشكلة أو الظاهرة المدروسة. ولذا نستطيع القول أن تميز العطاء العلمي والفكري لعبد الرحمان عزي عن فكر مالك بن نبي واضح وجلي يستطيع الباحث الحصيف والقارئ الجيد الوقوف على ذلك دون عناء كبير وتباين وتميز العطاء.

غير أنه استلهم منه أسلوب توسع الرؤية في معالجة الظاهرة الإعلامية خصوصا، فهو يبتعد عن الظاهرة بأدوات فلسفية ومحاكمات وإدراكات عقلية ليقترب منها بالتجريد قبل التجسيد. ونجده يستلهم من بن نبي أسلوب الاستنباط والاشتقاق في تعديم المفاهيم بآلية خاصة وفريدة، هذه المفاهيم تبنى من كيان أو محيط الظاهرة المدروسة.

9-نشأة نظرية الحتمية القيمية:

لعقود من الزمن كان ولا يزال أمر التنظير في علوم الإعلام والاتصال من شأن العالم الغربي ودوائره الفكرية، وذلك يرجع إلى مجموعة من الظروف والملابسات وحظ العرب من هذا لا يربو عن مجرد إسقاط لهذه النظريات الغربية على المجتمعات المحلية (العربية)، وفي هذا الاحتدام الفكري والأكاديمي يظهر المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي لخلخلة الواقع العربي الفكري في هذا المجال، وذلك من خلال عدد كبير من الدراسات العلمية والبحوث الأكاديمية تجاوزت خمسين (50) دراسة على مدى عقدين من الزمن، انتهت إلى طرح نظرية في الإعلام والاتصال سماها –نظرية الحتمية القيمية في الإعلام- جعلها إجابة عن الكثير من الأسئلة والتي حاول من خلالها الإجابة عن الكثير من الأسئلة التي كان يطرحها، وذلك لما كان بأمريكا واحتكاكه المباشر بأقطاب النظريات الإعلامية المعاصرة، وهذا الذي دفع به للانخراط في مجال التنظير في الاتصال والإعلام، وذلك بالاستعانة في استخدام أدوات منهجية استعار بعضها من مدارس النظريات الغربية.

9-1محتوى النظرية القيمية:

إن النظرة العلمية للنظرية الحتمية القيمية تحددت من أول وهلة في تصور واضح يتجاوز الخلل النظري والامبريقي الذي وقعت فيه النظريات الاتصالية بصفة عامة خاصة عندما ركزت النظريات الاتصالية الغربية على الجانب المحسوس، وهذا لا يمكن أن يعبر عن الواقع الإعلامي أو الظاهرة الإعلامية برمتها، بل عن جزء من الواقع فقط وهذا الذي يؤدي حتما إلى نتائج جزئية وليست عامة، وهذا الذي عملت عليه نظرية عبد الرحمن عزي واستدركته وذلك بتحديد أسس النظرية الاتصالية وعناصرها ومحاورها، عبر أو من خلال متغير واحد هو الرسالة الإعلامية وارتباطاتها بالقيم.

وفي هذا الصدد قدمت النظرية افتراض أساسي انطلقت منه وهو أساس الإعلام ومرتكزه وهو القيمة التي تحملها والتي تصدر وتنبع أساسا من المعتقد والدين.

ولهذا كله يرى عزي عبد الرحمن في نظريته أن الإعلام إنما يكون إيجابيا في وسائله إذا كانت محتوياته وثيقة الصلة بالقيم، خاصة إذا كانت كتلة القيم كبيرة كان التأثير إيجابيا على سلوك الفرد الاجتماعي، وبالمقابل يكون التأثير سلبا على الفرد والمجتمع إذا كانت محتويات وسائل الإعلام لا تتقيد بأي قيمة أو تتناقض مع قيم المجتمع.

9-2مرتكزات نظرية الحتمية القيمية:

أما الركائز الأساسية التي تقوم عليها نظرية الحتمية القيمية فقدمها عبد الرحمن عزي كما يلي:

- أن يكون الاتصال نابعا منبثقا من الأبعاد الثقافية الحضارية التي ينتمي إليها المجتمع.
- أن يكون هذا النمط من الاتصال تكامليا، فيتضمن الاتصال السمعي البصري والاتصال المكتوب والاتصال الشفوي الشخصي.
- أن يكون الاتصال قائما على مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل لا أن يكون أحاديا تسلطيا، فيقصي القطاعات المشكلة للمجتمع.
- أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمة، وهو ما ينعكس إيجابيا على محيط الإنسان المعنوي والمادي سواء على المستوى المحلي أو الدولي.

9-3الحتمية القيمية والنظرية الاتصالية:

لقد بدأت رحلة عبد الرحمان عزي إلى بناء النظرية الحتمية القيمية وذلك بعد أن قرأ قراءة متأنية وعميقة بكل أبعادها للنظريات القائمة في الاتصال، بدءا بمنطلقاتها الفكرية وتصوراتها وأدواتها، فأدرك بعد سنوات من ذلك أن هذه النظريات الاتصالية التي تستمد مرجعيتها من التاريخ الثقافي والاجتماعي الغربي،و أنها تفيد وتستطيع تقديم تفسيرات وحلول من خلال رؤيتها للواقع الغربي، وتفيد في تفسير جوانب جزئية في الإعلام والاتصال، وتقدم قراءات وتفسيرات للعديد من الظواهر الإعلامية، حيث تضمنت دراسته لهذه النظرية على مجموعة من المفاهيم يمكن الإشارة إلى بعضها دون التفصيل فيها،وهي:

الزمن الإعلامي

-المخيال الإعلامي

-التموضع

-التمخيل

-الرأسمال الإعلامي الرمزي

-الأثر البيولوجي

-بيولوجية الأثر الإعلامي

-بيولوجية القيمة

-الكتلة الإيمانية

9-4نظرته حول النظرية الاتصالية:

إن العملية الاتصالية بمحاورها المعروفة، وهي خمسة عناصر حسب (هارولد لاسويل) [المرسل (قائم بالاتصال) والمستقبل، والرسالة والوسيلة (القناة) الهدف]، عناصر باتت محاور كبرى نشأت حولها أو حول كل

محور مجموعة كبيرة من محاولات التنظير والتوسع ووضع النماذج التصورية للعملية الاتصالية، فوجدنا نظريات تتصل بالقائم بالاتصال (المرسل) وأخرى من النظريات اشتغلت على الرسالة وأخرى على الوسيلة وأخرى من عالجت المستقبل أو الجمهور وكذا الهدف. وفي هذا السياق يشير –عبد الرحمان عزي– إلى أن هذه النظريات ،على ما قدمت من إسهامات وعملت على تطوير النظرية الاتصالية لم تصل بعد إلى مستوى نستطيع فيه القول بإزالة الغموض التام عن النظرية الاتصالية، فيقول عزي: "الواقع أنني أعتبر أن البنية الاجتماعية أفضل ما توصلت إليه المعرفة النظرية الغربية في دراسة الاتصال بشتى أبعاده، ولا يعني ذلك أن هذه البنية كافية أو تمثل مخرجا حقيقيا، بل أنها في نظري إطارا نظريا ومنهجيا له إسهامات في المعرفة النظرية الغربية المعاصرة".

9–5أبعاد النظرية الاتصالية:

والنظرية الاتصالية كإطار تصوري منهجي لتفسير الظاهرة الاتصالية في المجتمع تفهم أكثر من خلال حصرها في أبعاد، وأبعاد الظاهرة الاتصالية تظهر في البعد الاتصالي والإعلامي في البعد الاجتماعي وأيضا في البعد النفسي والبعد الثقافي والقيمي.

–البعد الاتصالي الإعلامي يكمن في عملية نقل المعلومات والمعارف والأفكار والأخبار...إلخ فيما بين الأفراد والجماعات وهو بعد أولي ابتدائي ،ما لبث أن تطور واتسع ليشمل فيما بعد أدوات ووسائل اتصال تكنولوجية حديثة متطورة طوت المسافات فيما بين الأفراد والمجتمعات وقربت الجميع إلى بعضهم وتعرف الكل على الكل.

–تناولت النظرية الاتصالية البعد الاجتماعي من حيث الأثر الذي تتركه وسائل الاتصال والإعلام في مواقف واتجاهات الأفراد، وذلك عند تأثيرها على أنساق المجتمع ووحداته البنائية، مما يؤدي هذا إلى إحداث التغير الاجتماعي في العلاقات والروابط والأنماط المعيشية والعادات والتقاليد...إلخ.

–البعد النفسي في النظرية الاتصالية، والذي جعله محل الدراسة والاهتمام كونه البعد الذي من خلاله تفهم الظاهرة الاتصالية، هذه الأخيرة ليست سوى وسيلة حددت موقع الفرد، أو هي معلم (النفسية) الذي خلاله يكون مستوى التحليل أقدر على احتواء الظاهرة الاتصالية.

–البعد الثقافي في الظاهرة الاتصالية يتحدد من خلال منظومة العادات والتقاليد والقيم والأعراف، فيأتي الاتصال كعامل أساسي لتفعيل هذه المنظومة في شكل علاقات وارتباطات وممارسات وكذا سلوكات تجري في النسق الاجتماعي العام، مع أن هذه المنظومة تشكل تاريخا في المجتمع فهي تتشكل اجتماعيا وتمارس فرديا في نطاق النسق الواحد المفتوح على باقي الأنساق الاجتماعية الأخرى.

–لعل البعد القيمي في النظرية الاتصالية من أدق الأبعاد في مقاربة الظاهرة الاتصالية، كون البعد القيمي ينطوي على معاني ومبادئ تحدد الموقف السلوكي وتحدد الاتجاه المتخذ، وللبعد القيمي دلالات يشير إليها ،ولعل من أبرزها دلالة أن السلوك الاتصالي هو سلوك معقد يتركب من العديد من الفواعل العقلية والنفسية والاجتماعية والروحية الفلسفية ،تشكل في النهاية قيمة على ضوئها يحدد الفرد سلوكه وتواصله، وإذا كانت القيمة مفهوم واسع الدلالة فهو يؤشر في كل الحالات على ارتباط السلوك بالمرجعية والانتماء القبلي، وما السلوك الإعلامي أو الاجتماعي إلا امتداد لهذه الخلفية.

فالمفكر عبد الرحمن عزي هو كذلك عمل على أن يزاوج بين الخلفية الفكرية والفلسفية والواقع الحضاري الذي ينتمي إليه ،وبين استفادته الذكية من التطور النوعي في مجال التنظير الاجتماعي الذي عاصره و هو منطلق استخدمته الدوائر الأكاديمية الغربية.

ومن هنا نرى أنه من الضروري الاقتراب من هذه المدارس النظرية الاجتماعية الغربية لمعرفة أسسها ومنطلقاتها وتصوراتها، وإن كنا قد ابتعدنا عن الحتمية القيمية، لكن في الحقيقة لنقترب منها من خلال مقابلتها ومقارنتها ومقاربتها لواقع الظاهرة الاتصالية.

10-النتائج العامة:

في ختام هذه الدراسة الموسومة بقراءة في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام لصاحبها البروفيسور عبد الرحمان عزي، وبعد أن قدمنا المشكلة البحثية والتي تضمنت سؤال مركزي مؤداه:

-ما هي الأسس النظرية التي تقوم عليها نظرية الحتمية القيمية؟

إن هذه النظرية تأسست على جملة من القواعد الأولية في صورة منطلقات فكرية وذلك في حضور عوامل التاريخ والجغرافيا والبيئة الاجتماعية الأولى، فكانت حاضنة اجتماعية بخصوصيات أثرت في بناء شخصية الأستاذ عزي الثقافية والعلمية.

ثم تكوينه الأكاديمي الذي تدعم في أرقى الجامعات الغربية بالولايات المتحدة الأمريكية –نورث تكساس– أين تدعم رصيده الفكري والعلمي باحتكاكه بكبار المنظرين في مدارس عتيدة، فأسس أدوات منهجية خاصة به رأى بأنها تتميز بالحياد العلمي إلى حد ما، وأيضا –وتعميقا للإجابة عن السؤال المركزي– تدعم الأفق الفكري للأستاذ عزي عبد الرحمان بقراءاته في التراث العربي الإسلامي للقدامى منهم والمحدثين، كالغزالي وابن طفيل وابن خلدون وكذا بديع الزمان النورسي وجولاته في الرحلة الورتلانية...إلخ وإسهامات استلهاماته لفكر مالك بن نبي، وكانت له وقفات مع المفكر التاريخي الصيني –صون تسو–

فكل هذه القراءات والتأملات والاحتكاكات العلمية والمعرفية أسست للنظرية الحتمية القيمية مع الاستدراك المعرفي الذي أراده من خلال ما لاحظه على النظريات الاتصالية الغربية التي اشتغلت على المحسوس أو المجرب ولم تعط الاهتمام للمعنى أو المجرد، ما جعل نظرياتهم قادرة على تفسير جزء من الواقع وليس كله بحسب عبد الرحمان عزي في نقد النظرية الإعلامية الغربية ومآخذاته عليها.

وفي السؤال الفرعي الأول الذي جاء بهذه الصياغة

-ما هي الإضافة الجديدة التي أتت بها هذه النظرية؟

وجوابنا على هذا السؤال الفرعي يتضمن جملة من الإشارات ولعل من أبرزها:

أن الظاهرة الإعلامية وما يتفرع عنها من وسائل الاتصال الجماهيري أو وسائل الاتصال التكنولوجي بكل أنواعها، لا يمكن أن تفهم كظاهرة من خلال الوسيلة أو التقنية أو الوقوف عند المجرب فقط بل ينبغي أن ندرس الرسالة صاحبة المحتوى الرمزي والمعنوي لأن الرسالة هي التي تستوعب حقيقة الاتصال، لأن أهم أساس في الإعلام هو الرسالة الإعلامية، وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تحملها والتي تصدر أساسا من المعتقد والدين، وإنه لا يمكن أن تكون الدراسة مكتملة والتفسير شامل إلا بارتباط التحليل على مستوى المبنى والمعنى،

وكذا اتصال الجوهر وهو الحقيقة –بتعبير عزي– وصولا إلى المظهر والمجسد أو المادة التقنية كما في الوسيلة الإعلامية.

-نظرية الحتمية القيمية في الإعلام أضافت معنى الخصوصية في قضية التنظير والبناء المعرفي وإن كان هذا موجودا في حقيقة الأمر حتى في النظريات الغربية التي جاءت امتدادا لأفكار وثقافة اجتماعية تاريخية،و الذي أضافته –الحتمية القيمية–أنها طرحته على أساس منهجي علمي أي أنه يمكن دراسة المعاني وتأثيراتها أو توجيهاتها في البناء المعرفي وزوال خرافة الموضوعية المطلقة.

وفي السؤال الفرعي الثاني والذي قدمناه في المشكلة البحثية والذي صغناه بهذا الطرح:

-هل استوفت الحتمية القيمية شروط بناء نظرية؟

هذا السؤال المنهجي الذي فرض نفسه كحتمية بحثية جعلنا نركز على شروط بناء النظرية فوجدناها:

-نظرية مترابطة في أفكارها ومبادئها ومفاهيمها، مع خلو مادتها من التناقض والتضارب.

-الحتمية في شرطها الثاني أنها معبرة عن فكرة رئيسية ومحورية هي فكرة القيمية كمتغير أساسي قوي وحاسم في تحديد الحكم على هذا الإعلام أنه قيمي أو يقترب من القيمة في مواده وبرامجه وفلسفته وخلفيته.

-في الشرط الثالث نرى أن المادة العلمية للنظرية مستمدة من الواقع الاجتماعي ما يجعلها تتسم بالخصوصية البحثية.

-الشرط الرابع كون النظرية قادرة ومتمكنة في تفسير الظاهرة الإعلامية وهي ما قامت وتقوم به الحتمية القيمية من خلال ما يقدمه الباحث من دراسات وأبحاث ومضامين تصب كلها في تفسير الظاهرة الإعلامية.

-أماالشرط الخامس الذي يرى أن نسبية صحة النظرية ضروري ولعل نظرية –عزي– الحتمية القيمية تعمل على تفسير الظاهرة الإعلامية من خلال تعريفها وفهمها واستيعابها ومقاربتها للظاهرة الاتصالية ،وكل ذلك لم يكن قولا بالجزم على صحة ما وصلت إليه بنسبة مطلقة ولم يصرح الباحث بذلك ، بل يرى أنها استدراك معرفي له مرجعيته وأن نظرية الحتمية القيمية لا تفهم إلا في سياق النظريات الاتصالية الأخرى.

-من خلال الإجراء الإمبريقي عند تطبيقات تصور النظرية في دراسة جمهور الإعلام نقف على كثير من الاعتراضات التي ساقتها وقدمتها ، كتلك التي ترى (الفرضية) أنه كلما كانت القيمة إيجابية في محتوى المادة الإعلامية كان التأثير إيجابي في جمهور القيمة المناسبة له والعكس بالعكس صحيح، وغيرها من الفرضيات الإجرائية في كثير من الدراسات الأمبريقية التي قدمها بعض الدارسين للقيمة بمعنى أن النظرية تطبيقيا توظف مع المتطلبات المعرفية والمنهجية للبحث الميداني والأمبريقي.

-في الشرط الأخير الذي يوجب التفرد في النتائج المتوصل إليها بتوافقها مع النظرية –الحتمية القيمية– ،فهي نتائج غير مسبوقة لقدرتها على التفسير والتأويل الذي سبقته مقدمات نظرية وافتراضات أكدها الواقع الميداني.

من خلال هذه الشروط السبعة التي وضعناها في بناء النظرية نستطيع أن نجيب بأن نظرية الحتمية القيمية قد استوفت وبنسبة عالية شروط بناء النظرية العلمية الاجتماعية،والتي تفردت بها النظرية الاتصالية.

وفي السؤال الفرعي الثالث الذي ورد في المشكلة البحثية والذي جاء بهذه الصيغة:

-هل يمكن تطبيق هذه النظرية في البحوث السوسيو-إعلامية؟

فنرى أن نظرية الحتمية القيمية في خاصيتها التكوينية الأولى أنها نظرية فلسفية اجتماعية في تصورها ،اهتمت بالجانب الإعلامي الاتصالي الذي يعتبر مجال ظهورها الأول ،فنرى أن القيمة مبدأ أو مفهوم اجتماعي قوي وكثيرا ما تمت دراسات حوله كمتغير مستقل في كثير من التفسيرات للظواهر الاجتماعية ، أما الباحث عزي فقد تعامل معه كمتغير تابع بحسب منظور القيمة وفق إجراءات منهجية صارمة، ونظرا لطبيعة تخصصه فهو سوسيو-إعلامي وكثيرا ما نسج مفاهيم نظريته مما استعاره من الحقل الفكري للسوسيولوجيا، وهو ما يمنح النظرية الكفاءة المعرفية والعلمية وإمكانية تطبيقها في مقاربة العديد من البحوث السوسيو-إعلامية.

الخاتمة:

بعد تحديدنا لمحددات المرجعية الفكرية لنظرية الحتمية والتي استند فيها الأستاذ عزي عبد الرحمن لبعض الأطر الفكرية التي استلم منها أدوات البحث في الظاهرة الإعلامية وذلك ضمن اتساع الرؤية الفكرية وتحديد المنظور المعرفي والفلسفي الذي شكل السياق التأملي للنظرية، فكانت له اشتقاقات واستنباطات فكرية استلهم منها بعض المقولات في بناء نظريته.

ثم إن نظرية الحتمية القيمية هي جزء من النظرية الاتصالية العامة التي تكرست الجهود في التنظير لها لتفسير الظاهرة الاتصالية وتحليل السلوك الاتصالي والإعلامي للأفراد في تفاعلاتهم اليومية مع وسائل الإعلام ، كما ساهمت النظرية في تقديم براديغم تفسيري لعناصر وأبعاد العملية الاتصالية ،في إطارها التقني والمرتبط بامتدادات تأثيراتها على البنى القيمية للمنظومة الاجتماعية والثقافية ضمن علاقات تفاعلية تبادلية.

والنظرية الحتمية القيمية كما يضعها صاحبها ليست بديلة عن تكلم النظريات المعروفة في التراث الأكاديمي لعلم الإعلام والاتصال، ولكن استدراك علمي ومعرفي له مرجعيته الفكرية وخصوصيته البحثية.

قائمة المراجع:

-بركات، حليم، (1985)، **المجتمع العربي المعاصر (بحث استطلاعي)**، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

2-بوعلي، نصير، (2005)، **الإعلام والقيم، قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي**، عين مليلة: دار الهدى.

3-التيجاني، ثريا، (2011)، **القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري**، عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.

4-حمدي زفزوف، مُحَمَّد، (1993)، **مقدمة في علم الأخلاق**، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي.

5-ذياب، فوزية، (1988)، **القيم والعادات الاجتماعية**، بيروت: دار النهضة العربية.

6-سليمان قسام، يحي، (1999)، **القيم الاجتماعية في الدين**، ط1، دمشق: دار المنبر.

7-السويدي، مُحَمَّد، (1991)، **مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته**، د.ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية.

8-عبد الرؤوف، طارق، عيسى المصري، إيهاب، (2015)، **القيم التربوية والأخلاقية**، ط1، القاهرة: طيبة للنشر.

9-عزي، عبد الرحمن، (1985)، **الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية، بعض الأبعاد الحضارية**، الطبعة الأولى، الجزائر: دار الأمة.

10-عزي، عبد الرحمن، (2020)، **دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر إعلامي متميز**، ط1، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

11-عزي، عبد الرحمن، **الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية قواعد معرفية في الرواسب الثقافية**، الطبعة الأولى، لبنان: الدار المتوسطية للنشر، مؤسسة مُحَمَّد بن راشد آل مكتوم.

12-عزي، عبد الرحمن، بوعلي، نصير، (2010)، **حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام**، الطبعة الأولى، الجزائر: الورسم للنشر والتوزيع.

13-عزي، عبد الرحمن، بومعزة، السعيد، (2010)، **الإعلام والمجتمع، رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية والإسلامية**، الطبعة الأولى، الورسم للنشر والتوزيع.

14-مُحَمَّد الحسن، إحسان، **التراث القيمي في المجتمع العربي بين الماضي والحاضر**.

15-مختار الهواري، عادل، (1988)، **أسس علم الاجتماع**، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح.